وظائف اللغة في ضوء نظريات الاستعمال
-وظيفتا الإنجاز والحجاج أنموذجا-

عمر بوقمرة
حسيبة بن بوعلي الشلف -الجزائر
dr.bouguemra@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2017/08/10 تاريخ القبول: 2017/12/24

الملخّــص

اكتسبت اللغة قيمتها من وظائفها التي تؤديها في صدر المجتمع؛ ولذلك دأب اللسانيون على رصد هذه الوظائف ودراستها؛ وقد تشكل جرّاء تلك الجهود اتجاهان رئيسان هما: الاتجاه الشكلي الصوري، والاتجاه التداولي الاستعمالي، وكلاهما يشتغل على اللغة ونظامها؛ إلا أن الأول يركز على البنية الداخلية للغة، والثاني يتجاوز ذلك إلى الملابسات الخارجية للفعل الكلامي؛ ومن هنا يجب التأكيد على أن الاتجاه الثاني جاء كرد فعل على قصور الاتجاه الأول، وتركيزه على نظام اللغة غفلا من اعتبار استعمالها ومستعملها ووظائفها الاجتماعية، وهذا البحث يجتهد في دراسة وظيفتين من وظائف الاتجاه الثاني هما: الوظيفة الإنجازية، والوظيفة الحجاجية.

الكلمات المفاتيح:

اللغة - البنية - الاستعمال - الوظيفة الإنجازية - الوظيفة الحجاجية.

Les fonctions de la langue dans les théories de l'utilisation: les modèles des fonctions de performance et d'argumentation

Résumé

La langue a gagné sa valeur de ses fonctions exercées dans la société, par conséquent les linguistes ont suivi et étudié ces fonctions. Pour cette raison deux tendances sont apparues dans la recherche linguistique: la direction formelle et la direction pragmatique, toutes deux fonctionnent sur la langue et son système, mais la première se concentre sur la structure interne de la langue, et la seconde dépasse la structure interne de la langue pour examiner les circonstances extérieures de l'acte performatif, il faut donc souligner que la deuxième tendance était une réaction à l'insuffisance de la première direction, car elle se se concentre sur le système linguistique et néglige les facteurs pragmatiques et leurs fonctions sociales, cette recherche vise à étudier deux des fonctions de la seconde direction: fonction performative et fonction argumentative.

Mots clés:

Langue - structure - utilisation - fonction performative - fonction argumentative.

Language functions in the theories of use: models of performance and argumentation functions

Abstract

Language has gained its value from the functions it performs in the society; therefore, the Linguists have been studying these functions. As a result of these efforts, two main trends have appeared: the formalistic, the pragmatic; both operate on the language and its structure; but the first trend focus on the internal structure of language, and the second exceeds that to the external circumstances of speech acts; hence it must be emphasized that the second trend was a reaction to the inadequacy of the first trend, and its focus on the language system, neglecting its use, user and social functions. This research aims to study two functions of the second trend: the function of performance, and the function of argumentation.

Key words :

Language - structure - use - performance function - argumentative Function.

مقدمة:

اختلف اللسانيون في دراسة اللغة فرقتين، ولكل منهما منهجها؛ تشكل على إثر ذلك اتجاهان رئيسان لدراسة اللغة هما:

1- الاتجاه الشكلي الصوري:

والذي استطاع من خلاله العرب القدامى التأسيس لعلومهم المختلفة؛ ومنها النحو والصرف، وتمثل في الدرس الغربي في اللسانيات البنيوية التي تعنى بدراسة نظام اللغة وقوفا عند مستوياته المختلفة، بعيدا عن آثار الاستخدام في صدر المجتمع، شعارهم شعار منشئ العلم الأول "فرديناند دي سوسير"؛ وهو يحد هذا العلم بأنه الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري بعيدا عن كل الاعتبارات الأخرى التي ليست من صلب اهتمام اللساني، فهي هامشية وثانوية، ويمكن أن يضطلع بها علماء ينتمون لتخصصات علمية أخرى، كعلم الاجتماع، وعلم النفس مثلا؛ لذلك ضُبِطت حدود الدراسة فيه بدراسة اللسان منه وإليه؛ أي من أجله ولذاته، فهي دراسة وصفية شكلية موضوعية تروم رصد الخصائص العامة المشتركة بين اللغات البشرية كافة[1].

وقد شاع عند مؤرخي اللسانيات المعاصرة فكرة فحواها أن النتاج اللساني المعاصر ينحصر في مدرستين لسانيتين اثنتين؛ مدرسة تصنيفية، وأخرى يسعى أصحابها إلى مجاوزة حدود الوصف والتصنيف إلى التنظير، ويمثل هاتين المدرستين تياران اثنان هما: تيار البنيوية، وتيار النحو التوليدي التحويلي؛ اللذان سادا مع مطلع القرن العشرين، وحسب رأي هؤلاء المؤرخين فإن التيار الأول يقف على جميع المعطيات اللغوية وصفا وتصنيفا بدءا بالمستوى الصوتي وانتهاء بالمستوى التركيبي؛ متوسلا مبدأي التقطيع والتعاقب، في حين يحاول التيار الثاني تجاوز مرحلة وصف الظواهر اللغوية إلى مرحلة التفسير؛ وذلك بردها إلى نظرية عامة تتضمن المبادئ العامة التي تتحكم في عملية تعلم اللغة [2].

والحقيقة أن هذين التيارين يخرجان معا من مشكاة الاتجاه الشكلي الصوري،

الـذي اسـتبعد المعنـى مـن علـم اللغـة، وهـو المأخـذ الـذي وجـه للبنيويـين الأمريكيـين، وإن كان لا يصـدق إلا عـلى مرحلتـي التطـور الأولى والثانيـة، بخـلاف التطـور الأحـدث للنحـو التوليـدي، ولم يسـتبعد البنيويـون الأمريكيـون المعنـى جهـلا منهـم بوظيفـة اللغـة التواصليـة، بـل قناعـة منهـم أنـه مـن غـير الممكـن علميـا آنـذاك دراسـة ووصـف جانـب الدلالـة في اللغـة وصفـا دقيقـا، وبهـذه النظـرة كانـوا مثاليـين بالمفهـوم الفلسـفي لأنهـم يمارسـون نظـرة محضـة إلى الشـكل ويفضلونـه عـلى المضمـون[3].

وكان مـن نتـاج ذلـك أن رفضـت التوليديـة "إعطـاء أي أولويـة للمحيـط الخارجـي في مسـألة تعلـم اللغـة، فالقوانـين العامـة المتحكمـة في تعلـم اللغـات هـي مبـادئ داخليـة؛ أي تـأتي مـن البنيـة الداخليـة للعقـل الإنسـاني نفسـه"[4]. كل ذلـك كان مـبررا كافيـا مـن وجهـة نظـر كثـير مـن اللسـانيين للبحـث عـن منهـج آخـر يـولي عنايـة فائقـة للمعنـى في سـياقه التواصـلي الخارجـي؛ فـكان الاتجـاه التـداولي الوظيفـي.

2- الاتجاه التداولي الاستعمالي:

إن لجـوء اللسـانيين لهـذا المنهـج التـداولي الوظيفـي الحديـث ناجـم عـن قصـور الدراسـات الشـكلية، وإخراجهـا لـكل مقاربـة لغويـة تضـع نصـب عينيهـا العنـاصر غـير اللغويـة مـن دائـرة اهتماماتهـا "لذلـك يـرى" **ليفنسـون**: "أن الأسـاس الأول في نشـوء المنهـج التـداولي كان بمثابـة ردة فعـل عـلى معالجـة تشومسـكي للغـة بوصفهـا شـيئا تجريديـا، أو قصرهـا عـلى كونهـا قـدرة ذهنيـة بحتـة، غفـلا مـن اعتبـار اسـتعمالها ومسـتعملها ووظائفهـا"[5].

لقـد سـعد الأمريكيـون كثـيرا بفكـرة أن اللسـانيات علـم فيزيـائي؛ ولذلـك لم يدّخـروا جهـدا للتخلـص مـن إقحـام المعنـى في إطـار اللسـانيات، وحتـى عندمـا فتـح تشومسـكي بـاب الدلالـة التوليديـة التـي حاولـت تطبيـق نمـوذج النحـو التوليـدي لحـل مشـكلات تداوليـة اكتأدتهـا، كالافـتراض المسـبق، والقـوة الإنجازيـة، فشـلت في ذلـك فشـلا ذريعـا؛ والسـبب واضـح جـدا لأن النحـو التوليـدي يـرى أن اللغـة ظاهـرة عقليـة تتكـون مـن مجموعـة مـن الجمـل، وإذا كان الأوروبيـون قـد درسـوا اللغـة لا الـكلام فـإن الأمريكيـين

قد درسوا ما يقابل اللغة والذي دعاه تشومسكي بالكفاءة مهملين ما يقابلها وهو الأداء، لقد "أبعد أي اعتبار يخص استخدام اللغة ووظيفتها ... فهو يهتم بنظرية الكفاءة أكثر من اهتمامه بنظرية الأداء، إن هذا التعريف يعني أن اللسانيات تهتم بالنواحي العقلية وتبتعد قدر الإمكان عن التلوث بآثار الاستخدام والسياق"[6].

وكان لهذا الإبعاد آثاره السلبية، إذ بدأ النحو التوليدي يفقد مكانته، وأصبح اللسانيون "يرفضون الاقتصار على دراسة الجمل اللغوية على نحو تجريدي بمعزل عن السياقات التي تستخدم فيها، رافضين فكرة تشومسكي بشأن المخاطب السليقي المثالي"[7]. وبرزت الحاجة الملحة لتطوير الدراسات اللغوية بتوسيع دائرة البحث لتشمل عناصر جديدة أهملها الاتجاة الشكلي، وعلى رأسها السياق الذي تجري فيه عملية "التلفظ بالخطاب اللغوي بدءا من تحديده؛ بمعرفة عناصره، ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب، وتأويله، وكذلك دراسة افتراضات المرسِل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده، أو التنبؤ بها، ومعرفة أنواع السياق النفسي والاجتماعي، وإدراك تأثير كل منها في توليد الخطاب والضوابط لكل ذلك"[8]. وقد تمثل الاتجاه التواصلي في مناهج عديدة منها الدراسات التداولية، والنحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب، وغيرها، وهي كلها كما ترى تندرج ضمن إطار عام أطلق عليه أحمد المتوكل مصطلح اللسانيات الوظيفية، في مقابل اللسانيات غير الوظيفية؛ ويقصد بذلك اللسانيات الشكلية، وعلى هذا المعيار (وظيفي غير وظيفي)استطاع حصر أهم وجوه الاختلاف بين الاتجاهين منها:

- اللسانيات غير الوظيفية تعد اللغة نسقا مجردا(مجموعة من الجمل المجردة) يقوم بوظيفة التعبير عن الفكر،بخلاف اللسانيات الوظيفية التي تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

- اللسانيات الوظيفية تعتمد فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لا يمكن رصد مميزاتها ودراستها إلا من خلال ربط هذه البنية بوظيفة التواصل، بينما اللسانيات

غـير الوظيفيـة تـرى أن اللغـة نسـق مجـرد بمقـدور اللسـاني وصفـه دون اللجـوء إلى الوظيفـة، وبعبـارة أوضـح لا يمكـن في نظـر الوظيفيـين وصـف خصائـص اللغـة دون مراعـاة الطبقـات السـياقية التـي يمكـن أن تجـري فيهـا، بخـلاف غـير الوظيفيـين الذيـن يسـوغون وصـف تلـك المميـزات بعيـدا عـن سـياق الاسـتعمال.

- قـدرة المتكلـم مـن وجهـة نظـر غـير الوظيفيـين هـي معرفـة قواعـد اللغـة الصوتيـة والصرفيـة والتركيبيـة والدلاليـة. أمـا في رأي الوظيفيـين فهـي معرفـة المتكلـم للقواعـد التـي تعينـه عـلى تحقيـق أهـداف تواصليـة معينـة بواسـطة اللغـة؛ فالقـدرة حسـب الوظيفيـين هـي قـدرة تواصليـة تتضمـن القواعـد الصوتيـة، والصرفية،والتركيبيـة، والدلاليـة، والتداوليـة؛ وبنـاء عـلى ذلـك فالطفـل يتعلـم نحـو لغتـه مسـتعينا بالمبـادئ التـي فطـر عليهـا عنـد غـير الوظيفيين،ويتعلمهـا حسـب النسـق الثـاوي خلـف اللغـة واسـتعمالها؛ أي العلاقـات الموجـودة بـين الأغـراض التداوليـة والوسـائل اللغويـة عنـد الوظيفيـين[9].

أنواع وظائف اللغة:

وبناء على هذين الاتجاهين يمكن تقسيم وظائف اللغة إلى قسمين هما:

1- وظائـف موضوعيـة داخليـة بنيويـة: تتعلـق بمسـتويات النسـق اللغـوي صوتـا، وصرفا، ونحـوا، ودلالـة، وهـي مسـتويات لهـا وظائفهـا الدلاليـة، المهمـة والمحـدودة - في آن- عـلى مسـتوى النظـم اللغـوي؛ لذلـك نجـد علـماء الدلالـة يبحثونهـا تحـت مسـمى: "أنـواع الدلالـة"، فيقولـون: الدلالـة الصوتيـة، والدلالـة الصرفيـة، والدلالـة النحويـة أو التركيبيـة، والدلالـة المعجميـة أو الاجتماعيـة، بـل نجـد كثـيرا مـن المحدثـين يجنـح إلى توظيـف مصطلـح الوظيفـة بـدل الدلالـة، فيقولـون: الوظائـف الصوتيـة، والوظائـف الصرفيـة، والوظائـف النحويـة، وهكـذا.

والمـراد بالوظيفـة الصوتيـة تلـك المعـاني المسـتفادة مـن طبيعـة بعـض الأصـوات، فـإذا أبدلنـا صوتـا مـكان صـوت أخـر في كلمـة مـا؛ أدى ذلـك إلى تغيـير الدلالـة، وهـو مـا يعـرف **بالإحـلال الصـوتي** في الـدرس الصـوتي الحديـث، كالفـرق بـين كلمتـي "**الخضـم**"

و"**القضم**"، و"**النضح**" و"**النضخ**" [10]، كما أن للتنغيم والنبر أثرهما الدلالي، أو قل بعبارة تناسب طبيعة البحث وظيفتهما الدلالية[11]. **أما الوظيفة الصرفية** فيقصد بها تلك المعاني المستمدة عن طريق الصيغ وأبنيتها؛ فكلمة "**كذّاب**" تزيد في دلالتها عن كلمة "**كاذب**"، وتلك الزيادة مصدرها صيغة المبالغة؛ ولولاها ما كان للسامع أن يصل إليها[12].

أما الوظيفة النحوية فهي تلك الدلالات المستقاة من العلاقات النحوية بين الكلمات داخل الجملة، وذلك حسب قواعد اللغة، إذ لكل لغة هندستها الخاصة بالجملة، لو اختل نظامها تعذر فهم معناها أو تعسر، "فهناك علاقة بين المعنى الدلالي والوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، فكل تغيير في مكان الكلمة في الجملة يؤدي إلى تغيير المعنى"[13]. وتأتي أخيرا **الدلالة المعجمية؛** وهي تلك الدلالات التي وضعها الأسلاف للكلمات المختلفة، ويكفي للوقوف عليها الرجوع إلى معاجم اللغة حسب ما ارتضته الجماعة اللغوية واصطلحت عليه[14]. بحيث تنتظم هذه الكلمات في الجملة وفق نسق نحوي معين وفيه تؤدي كل كلمة وظيفة معينة[15].

2- وظائف تداولية خارجية اجتماعية: وهي تلك الأغراض التي يطمح إليها المتكلم، وهو يستعمل اللغة كنظام متكامل وُضِع أصلا للتواصل والتفاهم بين بني البشر؛ وفي هذا المقام تكون الوظيفة "مرادفة لكلمة استعمال؛ لذلك حين نتحدث عن وظائف اللغة فنحن لا نعني إلا الطريقة التي يستعمل بها الناس لغتهم، أو لغاتهم إن كان لهم أكثر من لغة، وإذا عبرنا عن ذلك بصورة عامة؛ قلنا إن الناس ينجزون بلغتهم أشياء كثيرة، أي إنهم يتوقعون أن ينجزوا بالكلام والكتابة والقراءة والاستماع عددا كثيرا من الأهداف المختلفة والأغراض"[16].

إنها تلك الوظائف التي تشبع حاجيات الفرد والمجتمع المختلفة؛ ولذلك اهتم علماء اللغة والاجتماع والفلسفة بدراستها منذ وقت مبكر، ولازالت الدراسات فيها تستمر وتتكوثر، مستثمرة ما استجد في مختلف الفروع العلمية في التطوير والترشيد، وفي هذا النوع من الوظائف يتركز بحثنا.

اللغة والوظيفة:

عرف ابن جني (ت 392) اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[17].

وقد استشف من هذا التعريف ثلاث خصائص للغة، وهي:

- صوتية اللغة.
- اجتماعية اللغة.
- وظيفية اللغة.

فوظيفة اللغة عند ابن جني هي التعبير عن الأغراض والحوائج، وتبعه على ذلك مَن بعده ، فابن سنان الخفاجي مثلا يرى أن الكلام غير مقصود لذاته "وإنما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم"[18]. ومن هذه المعطيات ذهب بعض المحدثين إلى أن وظيفة اللغة انحصرت قديما في التواصل والتبليغ[19].

وهذا في تقديرنا غير صحيح، فالتواصل هو الوظيفة الكبرى للغة وتتفرع عنها وظائف شتى، ولعل هذا ما لمح إليه ابن جني وابن سنان بقولهما: "يعبر بها الناس عن أغراضهم" فالأغراض كثيرة والتواصل سبيل للتعبير عنها جميعا؛ صحيح أن المتقدمين لم يبعجوا هذه الوظائف تفريعا ودراسة، ولكن أقوالهم تحتمله، وممارساتهم تؤكده.

عرفت الوظيفة لسانيا حسب معجم جون ديبوا (JEAN DUBOIS) بأنها: "الدور الذي تضطلع به العلامة اللغوية في بناء المركب الملفوظ، إذ يعد كل عنصر من الجملة مسهما في المعنى العام"[20].

وفي معجم جورج مونان (JEORGES MOUNIN): "هي تحليل لساني يقوم بوصف بنية لغة ما، والتي تعرّف بأنها وسيلة تواصل؛ وعليه فكل العلامات اللغوية وعلاقاتها فيما بينها تُحَلل بحثا عن دورها داخل مؤسسة التواصل"[21]. وقد آثرت هذين التعريفين؛ لأنهما يمثلان الاتجاهين معا، فالأول يتحدث عن الوظائف الداخلية، والثاني يتحدث عن الوظائف الخارجية؛ ما يؤكد صحة تقسيم الوظائف

وتحديدها على فكرة دور وقيمة كل عنصر في الملفوظ،أو الاستعمالية في عملية التواصل.

بعض جينالوجيا الوظيفة:

يجب أن نعترف بأن الشرارة الأولى لانطلاق التوجه الوظيفي في الدراسات اللغوية كانت بإيعاز من أب اللسانيات الحديثة "دي سوسير"؛ بعد أن أقر بأن الوظيفة الأساسية للغة هي التبليغ والتواصل بين الناس؛ وكان هذا الإقرار بمثابة انقلاب على الاتجاهين التاريخي والمقارن اللذين سيطرا على الدراسات اللغوية قبل القرن العشرين، إذ كانت تربط اللغة بالفكر وتربأ أن تنزل بها إلى عامة الناس كأداة للتبليغ، فمفهوم الوظيفة من مبتكرات دي سوسير، وقناعة بهذه الفكرة من أتباعه الموصوفين بالوظيفيين رأوا أن دراسة اللغة تكمن في البحث عن الوظائف التي تؤديها عناصرها وأقسامها ونسقها[22].

وما أن دخل العقد الثالث من القرن العشرين حتى استقر الاتجاه الوظيفي في حقل الدراسات اللغوية الحديثة؛ وذلك بعد ظهور مدرسة براغ التشيكسلوفاكية التي أولت عناية خاصة لمفهوم التواصل كوظيفة أساسية في النشاط اللغوي، وعلى رأسها جاكُبسون (JAKOBSON)[23]. الذي كان منطلقه في تحديدها هو عناصر الاتصال من مرسل ورسالة ومرجع وقناة وسنن ومرسل إليه، فاللغة حسب جاكُبسون هي شيء منفصل وخارج عن هذه العناصر، والتحكم فيها منوط بالمرسل، وقد أعطى لكل عنصر وظيفة؛ فكانت ست وظائف:

1) **الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية:** تسمح للمرسل التعبير عن موقفه.
2) **الوظيفة الندائية أو الإيعازية:** كنداء المرسل إليه وأمره وسؤاله.
3) **الوظيفة المرجعية:** وتتمركز حول المرجع؛ أي محتوى الرسالة(المفهوم).
4) **وظيفة إقامة الاتصال:** وتتمحور حول القناة أي وسيلة الاتصال كقولنا في الهاتف: هل تسمعني ؟ للتأكد من وضوح الصوت، أو استمرار الخط عبر الهاتف.
5) **وظيفة ما فوق اللغة:** وتتمركز حول لغة الرسالة وشفرتها (السنن)، كالسؤال

عـن معنـى كلمـة غامضـة.

6) الوظيفــة الشــعرية: وتتمحــور حــول الرســالة مثــل الشــكليات التــي يتطلبهــا الإيقــاع[24].

والحقيقـة أن ثمـة عـدد مـن التصنيفـات المألوفـة لوظائـف اللغـة قبـل جاكُبسـون منها تصنيـف عـالم الأنثربولوجيـا مالينوفسـكي (1923م)، وعـالم النفـس النمسـاوي كارل بيولـر (1934م)، وبعـده نجـد روبـول، وليتـش، وبوبـر، وهاليـدي وغيرهـم، ومـا يلاحـظ عـلى هـذه التصنيفـات أنهـا لا تبتعـد كثـيرا عـن بعضهـا؛ فنجـد مدرسـة بـراغ قـد تبنـت خطـة "بيولـر" ثـم وسـعها مـن بعـدُ "جاكُبسـون" بـأن أضـاف لهـا ثـلاث وظائـف أخرى،وهـي:

- الوظيفة الشعرية (poetic)، وتوجه إلى الرسالة (message).
- الوظيفة التعاملية (transactional)، وتوجه إلى قناة الاتصال (channel).
- الوظيفة الماورائية أو الواصفة (metalinguistic)، وتوجه إلى الشفرة (code)[25].

ونجـد "روبـول" أيضـا لم يبتعـد كثـيرا عـن تصنيـف جاكُبسـون، بـل منـه انطلـق مـع اعتراضـه عـلى بعـض التسـميات التـي يراهـا غـير ملائمـة؛ فـيرى أن التسـمية الأنسـب "للوظيفـة المرجعيـة" هـي "وظيفـة التسـمية"؛ وحجتـه في ذلـك أن بعـض العبـارات اللغويـة لا تحيـل عـلى مراجـع مثـل الأسـاليب الإنشـائية، والتسـمية المناسـبة "للوظيفـة الانفعاليـة" هـي "الوظيفـة التعبيريـة" فليـس كل تعبـير عـن الـذات بالـضرورة انفعـالا[26].

وتنحـصر وظائـف اللغـة عنـد "بوبـر" في أربعـة وظائـف هـي: الوظيفـة التعبيريـة، والوظيفـة الإشـارية، والوظيفـة الوصفيـة، **"والوظيفـة الحجاجيـة"**[27]. والجديـد في هـذا التصنيـف هـو إضافـة الوظيفـة الحجاجيـة التـي هـي محـور بحثنـا كـما سـيأتي.

وجعـل هاليـدي للغـة ثـلاث وظائـف كـبرى هـي: الوظيفـة التصوريـة، والوظيفـة التعامليـة، والوظيفـة النصيـة، وهـي بدورهـا تفرعـت إلى تسـع وظائـف، وهـي:

- **الوظيفـة النفعيـة: Instrumental function:** ويقصـد بها اسـتعمال اللغة للحصول عـلى الأشـياء الماديـة، مثـل: الطعـام والـشراب، ويلخصهـا هاليـدي في عبـارة: "أنـا أريـد" (I want).

- **الوظيفة التنظيمية: Regulatory function:** وفيها تستعمل اللغة لإصدار الأوامر للآخرين، وتوجيه سلوكهم، ويلخصها هاليدي في عبارة: "افعل كما أطلب منك" (Do as I tell you).

- **الوظيفة التفاعلية: Interactional function:** ويراد بها استعمال اللغة من أجل تبادل المشاعر والأفكار بين الفرد والآخرين، ويوجزها هاليدي في عبارة: "أنا وأنت" (Me and you).

- **الوظيفة الشخصية: Personal function:** ويقصد بها استعمال اللغة للتعبير عن مشاعر الفرد وأفكاره، ويوجزها هاليدي في عبارة: "إنني قادم" (I come here).

- **الوظيفة الاستكشافية: Heuristic function:** ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفهام عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها، ويلخصها في عبارة: "أخبرني عن السبب" (Tell me why).

- **الوظيفة التخيلية: Imaginative function:** ويستعمل فيها المتكلم اللغة للتعبير عن تخيلات وتصورات من إبداعه، وإن لم تطابق الواقع، ويلخصها هاليدي في عبارة: "دعنا نتظاهر وندعي" (Let us pretend).

- **الوظيفة البيانية: Representational function:** ويقصد بها توظيف اللغة من أجل تمثل الأفكار والمعلومات، وإيصالها للآخرين، ويلخصها هاليدي في عبارة: "لدي شيء أريد إبلاغك به" (I have got something to tell you).

- **وظيفة التلاعب باللغة: Play function:** ويقصد بها اللعب باللغة وبناء كلمات منها حتى ولو كانت بلا معنى، ومحاولة استغلال كل إمكانات نظام اللغة، وتوجزها "وليجا ريفرز" في عبارة:(Billy billy).

- **الوظيفة الشعائرية: Ritual function:** ويقصد بها استعمال اللغة لتحديد شخصية الجماعة، والتعبير عن السلوكيات فيها، ويلخصها هاليدي في عبارة: "كيف حالك"[28] (How do you do).

وتبقى قائمة الوظائف مفتوحة، وطويلة، وقابلة للتكوثر، و مهما تمادينا في

الحديث عن وظائف اللغة وأنواعها فإننا لن نظفر برؤية موحدة، ولا عدد محدود ولا مصطلحات متفق عليها، وربما يعود ذلك إلى الأسباب التالية:

- اختلاف الخلفيات المعرفية للدراسات بحيث يظل الباحث متأثرا بالحقل المعرفي الذي يشتغل عليه، فقد يرى الإعلامي - أن وظيفة اللغة إعلامية، والسياسي يراها تأثيرية، والاقتصادي يراها إشهارية، والمؤرخ يراها تدوينية، وهكذا.

- اختلاف التسميات والمصطلحات ، ويمكن إرجاع هذا العامل إلى سابقه، ولكن الاختلاف في الاصطلاح يقع حتى بين المنتمين إلى حقل معرفي واحد، وهذا أمر طبيعي لا يناقش، فمثلا الوظيفة الشعرية عند رومان جاكُبسون سماها ريفاتير بالوظيفة الأسلوبية لأنه من مؤسسي الأسلوبية[29].

- تعدد حاجات الناس وأغراضهم حتما يؤدي إلى تعدد الوظائف، فلكل غرض وظيفة وربما أكثر.

وعلى الرغم من هذا التعدد الذي لا يمكن أن ينكره أحد فإن الاعتراف ببعضها لا يلغي بعضها الآخر، بل يمكن أن تجتمع وظائف متعددة في النص الواحد[30]. "فمن المستبعد أن تستعمل عبارة ما من عبارات لغة طبيعية في أي ظرف من الظروف لأداء وظيفة واحدة فقط مع استبعاد الوظيفة الأخرى بصفة كلية"[31].

وظائف اللغة في نظريات الاستعمال:

أظن أنه قد استبان الفرق بين نوعين من الوظائف؛ وظيفة باعتبارها علاقة دلالية، أو تركيبية، أو تداولية، تقوم بين مكونات الجملة، ووظيفة بعدِّها دورا تقوم به اللغة ككل في سياقها الاجتماعي، وعلى النوع الثاني يدور بحثنا، ولم نقف فيه على النوع الأول إلا بقدر ما يتضح لنا قسيمه إذ الأشياء بمقابلاتها تتبين، بل وحتى الوظائف التداولية ما وقفنا عليها إلا توطئة للوظيفة مجال الدرس؛ ألا وهي الوظيفة الإنجازية في نظرية الأعمال اللغوية لأوستين (Austin)، والوظيفة الحجاجية في نظرية الحجاج في اللغة عند الألسني الفرنسي أوزوالد ديكرو (Oswald Ducrot)؛ وهنا أجدني مضطرا علميا ومنهجيا لإدخال تعديل جوهري على معيار

أحمد المتوكل الذي اقترحة سابقا **"وظيفي غير وظيفي"**؛ لأنني من الآن فصاعدا لن أوظف مصطلحي الوظيفية والتداولية بمعنى واحد، ولن أقابل بين الوظيفي وغير الوظيفي، بل ستنتقل العلاقة الدلالية من الترادف، إلى علاقة الجزء بالكل، فما اللسانيات التداولية إلا جزء من اللسانيات الوظيفية، ففي أوائل السبعينيات صار الاهتمام بالمعنى في الاستعمال أكثر من الاهتمام بالمعنى المجرد، وأُوليت أفعال الكلام عناية خاصة؛ "وهكذا برزت التداولية في اللسانيات الوظيفية"[32].

وهنا يجب أن نقرّ بأن بداية دراسة المسائل التداولية كانت في إطار التيار الفلسفي المسمى: "فلسفة اللغة العادية"، حيث عالج مسائل دلالية وتداولية للغات الطبيعية من قبيل الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام الحواري، والأفعال اللغوية، وغيرها، ثم ترحلت تلك القضايا على سبيل الاقتراض واستوطنت حقل الدراسات اللغوية، فطاب المقام، وحسن التوظيف والاستخدام.

فلسفة اللغة العاديةإكسير نظريات الاستعمال:

أسس الفيلسوف والرياضي الألماني **غوتلوب فريج** GOTLOB FREGE الذي عاش بين سنتي (1848م) و (1925م)؛ لما يسمى بالفلسفة التحليلية بمفهومها العلمي الصارم في كتابه: **"أسس علم الحساب"**[33]، وتابعه برتراند رسل B . RUS-SEL ؛ (1972م - 1970م) فالفلسفة التحليلية في الحقيقة هي نتاج تطوير النظرية الفلسفية التي تسمى: "منطوقية" LOGICISME؛ ما أدى إلى تفضيل الفلسفة التحليلية على النظريات التي تسمى بـ "التأليفية" وعليها بنيت فلسفة أوستين فيما بعد[34].

ومن أهم الأفكار التي جاء بها **فريج** ودعمها **رسل** تتمثل في حرصهما الشديد على تمييز اللغة العلمية التي يهمها ما يساعد على تحديد الحقيقة، من اللغة العادية التي يهمها وبدرجة أولى نجاح التواصل، إذ على الأولى أن تكون ثابتة المعنى محافظة عليه، بينما الثانية هي في حاجة إلى إبهام لتأدية وظيفتها، فهي غنية ومبهمة وغير واضحة، فالأولى تسجل وبدقة عالية روابطها المنطقية. أما الثانية

فتـدع ذلـك فضفاضـا مُضَبّبـا وغـير محـدد، وتتمتـع اللغـة العلميـة بالاسـتقلالية عـن علاقـات التفاعـل والتشـخيص، في حـين أن اللغـة العاديـة تظـل خاضعـة لعنـاصر التفاعل، مشـحونة برغبـة الإقنـاع والتأثـر، مسـتعينة بقواعـد البلاغـة والانفعـال[35].

لقـد حسـمت الفلسـفة التحليليـة الأمـر في تحديـد مهمتهـا، وهـي إعـادة صياغـة الموضوعـات الفلسـفية وإشـكالاتها وفـق قواعـد علميـة جديـدة، موَّليـة ظهرهـا للفلسـفة الكلاسـيكية، عائبـة عليهـا تركيزهـا عـلى اللغـات الشـكلية الصوريـة؛ ومـن هنـا راحـت تؤكـد أن أولى المهـام الفلسـفية هـي البحـث في اللغـة وتوضيحهـا، وقـد عـدّ فلاسـفة التحليـل هـذا المبـدأ هـو نقطـة القـوة في منهجهـم؛ لأنـه لا يمكـن فهـم علاقتنا بالعـالم وما فيـه مـن كائنـات بشريـة إلا عـبر اللغـة واللغـة وحدهـا. "إن جميـع الحـالات الموضوعيـة لشـؤوننا وجميـع العلاقـات الذاتيـة مـع الأفـراد والمجتمـع، ومـع تاريـخ الجنـس البـشري، قائـم عـلى أسـاس لغـوي، إن أراد أن يكـون لـه معنـى، فالطابـع اللغـوي مرتبـط دائمـا وأبـدا بالفهـم، مـادام المعنـى الـذي تنقلـه لنـا اللغـة لا يصـير ملموسـا إلا عـلى هـذا النحـو، فالوجـود الـذي يمكـن أن يكـون مفهومـا أوَّلا هـو اللغـة"[36].

وقد تفرعت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات وهي:

- **الوضعانية المنطقية:** POSITIVISME LOGIQUE: بزعامة **رودولف كارناب.**

- **الظاهراتيـة اللغويـة:** PHENOMENOLOGIE DE LA LANGUE: بزعامـة **إدموندهـوسرل.**

-**فلسـفة اللغـة العاديـة:** PHILOSOPHIE DU LANGAGE ORDINAIRE: بزعامـة **فيتغنشـتاين** WITGENSTEIN ،وهـو فيلسـوف إنجليـزي مـن أصـل نمسـاوي عـاش بـين سـنتي (1889م و 1951م)، وفي أحضـان الفـرع الأخـير نشـأت ظاهـرة الأفعـال الكلاميـة بزعامـة **أوسـتن ثـم سـيرل.**

ويـرى فيتغنشـتاين في فلسـفة اللغـة العاديـة أن جميـع مشـكلات الفلسـفة تُحَـلُّ باللغـة "فاللغـة هـي المفتـاح السـحري الـذي يفتـح مغاليـق الفلسـفة، بـل كان يُعتقـد أن الخلافـات والتناقضـات المنتـشرة بـين الفلاسـفة سـببها الأسـاسي سـوء فهمهـم للغـة، أو

إهمالهم لها، وراح يطوّر فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها"[37].

كان فيتغنشتاين في أول أمره من أنصار اللغة المثلى أي: اللغة التمثيلية التي لا تقبل سوى الملفوظات القابلة لأن يحكم عليها بالصدق أو الكذب، المنضوية في إطار منطق القضايا؛ لأن هذا هو موضوع لغة العلم، ولكن سرعان ما تخلّى عن دراسة اللغة المثلى لوصف العالم سنة 1918م، وانضم إلى فلاسفة أكسفورد من أنصار دراسة اللغة الطبيعية، وقد استهل هذه المرحلة بكتاب له تحت عنوان **"الأبحاث الفلسفية"**[38]. معتمدا في فلسفته الجديدة على ثلاثة مفاهيم وهي:

1 - الدلالة: حيث أكد فيها عدم الخلط بين المعنى المحصل SENS، والمعنى المقدر SIGNIFICATION؛ لأن ذلك يعني عنده خلطا بين الجملة والقول، فالجملة معناها مقدّر.أمَّا الكلام فمعناه محصل.

2 - القاعدة: ويرى فيها أنه يجب على مستعمل اللغة أن يراعي التواضع والاصطلاح الاجتماعي القواعدي، فكما أن لعبة الشطرنج لها قواعدها، فكذلك اللغة، إلا أن فيتغنشتاين "يقيد معنى القاعدة الذي لا يعدو كونه لعبة من ألعاب اللغة؛ ونظرا لعدم وجود قواعد معينة تلزم لاعب التنس بارتفاع معين لا يجب على الكرة أن تجاوزه، فإن هذا الأمر يصدق كذلك على من يشارك لعبة اللغة، حيث يتعين أن تمتثل القواعد الأساسية؛ أي الاصطلاحات الاجتماعية، بيد أنه لا يجب أن تجهل القواعد غير الأساسية، بعبارة أخرى القواعد الفردية، والحال أن هذه القواعد هي نماذج ومثل صالحة لعدد من الأحوال والمتكلمين"[39].

3- ألعاب اللغة: JEUX DE LANGUE وهي فكرته الأساسية، ولكنها لا تنفصل عن الدلالة والقاعدة، ومعناها: أنه لا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما، بل ثمة عدد غير متناه من الطرق التي تتيح لمستعمل اللغة اختيار ما يراه مناسبا[40]؛ ولذلك تساءل قائلا: "ما الذي يعطي الحياة إلى العلامة ؟ إنها تعيش من خلال الاستعمال فهل تمتلك نفس الحياة في ذاتها ؟ أو إن الاستعمال هو ذاتها؟"[41].

إن الأمر لا يتعلق فقط باستعمال كلمة في الجملة، بل يتعدى ذلك إلى استعمال الجملة في مواقف ملموسة وفعلية، ومنها تكتسب معانيها "فوجهة النظر المعبر عنها هي وجهة تداولية بالمعنى الواسع للاصطلاح بحكم ارتباطها بالفعل، وبإطار حركي غير شفوي، وبنهايات تطبيقية؛ ولذلك يفترض على القائل أن يطرح على نفسه جملة من الأسئلة منها: ما مناسبة الحديث وموضوعه؟ ما أهدافه وغاياته؟ وما هي الحركات والإشارات التي تصحبه؟ وفي أي زمان ومكان ومع من؟ وغيرها من الأسئلة[42].

الأفعال الكلامية والوظيفة الإنجازية للغة:

ثم جاء **جون لانجشو أوستين** البريطاني (1911م - 1960م) JHON LANSHAW AUSTIN أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد فوضع نواة التداولية اللسانية المتمثلة في فكرة أفعال الكلام، حين ألف كتابا بعنوان HOW TO DO THINGS WITH WORDS[43]. هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات ألقاها في جامعة هارفاد سنة 1955م ضمن برنامج سمي بـ: "**محاضرات وليام جيمس** WILLYAM JAMES"[44].

ويمكن إيجاز فكرة أوستين في نقطتين أساسيتين هما:

- **الأولى:** إنكاره أن تكون الوظيفة الأم للتعابير هي الإخبار، وهي وصف حال الواقع وصفا يحتمل إما الصدق وإما الكذب، وسماه بالمغالطة الوصفية، وراح يثبت إلى جانب التعابير الوصفية قسما آخر من العبارات قد يكون شبيها لها، ولكنه لا يصف الواقع، ولا يحتمل الصدق والكذب، فإذا طلب منك شخص يد ابنتك فقلت له: زوّجتك ابنتي. فأنت هنا لا تصف عالما خارجيا، ولا يمكن أن يوصف قولك بالصدق أو الكذب، بل بمجرد تلفظك بهذه العبارة فأنت تنجز فعلا تترتب عليه أشياء أخرى، وخلص أوستين في الأخير إلى التمييز بين نوعين من الأفعال:أفعال إخبارية CONSTATIVE تصف العالم الخارجي، وتحتمل الصدق والكذب، وأخرى أدائية PERFORMATIVE، وتستخدم لإنجاز فعل ما، كالتسمية، والوصية، والاعتذار، وغيرها، وتحتمل التوفيق والإخفاق.

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي بذله أوستين في التمييز بين هذين النوعين من الأفعال، فقد استقر رأيه في الأخير على أن معالم التمييز بينهما مازالت مبهمة، وفي محاضرته الأخيرة، وهي الثانية عشْرة، قام بتقسيم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف مع تصريحه بأنه غير راض عنها، وهي:

أفعال الأحكام: وهي التي تعبر عن حكم يصدره حكَم.

أفعال القرارات: وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار ما.

أفعال التعهد: وهي التي تعبر عن تعهد متكلم بأمر ما.

أفعال السلوك: وهي التي تعبر عن رد فعل اتجاه سلوك الآخرين.

أفعال الإيضاح: وهي التي تستعمل لتوضيح وجهة نظر ما، وذكر الحجة كالإثبات، والإنكار، والاستفهام، وغيرها[45].

- **الثانية:** توصل أوستين في فكرته الأولى إلى أن الجمل الإنشائية تنماز عن الوصفية بجملة من الخصائص منها: أن تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحاضر، وتتضمن فعلا مثل "أمر" ، "وعد"، "أقسم"، "حكم"، ويفيد معناه إنجاز عمل ما، ولكنه لاحظ أن المقابلة بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية ليست بالسهولة التي ظنها في بادئ الأمر، فجملة "رُفِعت الجلسة" مثلا لم تسند إلى ضمير المتكلم، ولا هي في زمن الحاضر، ولا تتضمن فعلا، وقد دفعته هذه الملاحظة إلى تمييز جديد مازال مقبولا إلى يومنا هذا[46].

لقد رفض المقابلة التي أقامها بين نوعي الأقوال، وخلص إلى أن كل قول عمل، ولا يوجد- إن أمعنا النظر - جمل وصفية"[47]. فكل عبارة تامة كاملة مستعملة لابد وأن تتضمن إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، حيث ميز بين ثلاثة أضرب من الأعمال اللغوية أولها: **العمل القولي** ويتحقق بمجرد التلفظ بشيء ما ، وثانيها: **العمل المتضمن في القول** ويتحقق بقولنا شيئا ما، وثالثها: **هو عمل التأثير بالقول**، ويتحقق نتيجة قولنا شيئا ما.فعندما يأمر الأب ابنه بتنظيف الأسنان قائلا:" نظف أسنانك " فهو ينجز عملين متزامنين: عملا قوليا، وهو نطقه بالجملة، وعملا

متضمنا، وهو أمره بتنظيف الأسنان، وعندما يجيبه الولد قائلا:" لا أشعر بالنعاس"، فهو ينجز ثلاثة أفعال لغوية: عمل قولي وهو نطقه بالجملة، وعمل متضمن في القول، وهو إخبار أبيه عدم رغبته في النوم، وعمل التأثير بالقول، وهو إقناع أبيه بإمهاله لتنظيف أسنانه بما أن النعاس لم يهجم عليه بعد[48].

جاء من بعده تلميذه سيرل (المولود سنة 1932م)، وأستاذ بجامعة بركلي-BER KELEY بكاليفورنيا؛ فبنى على ما ابتدأه فأحكم هذه النظرية، واصلت درجة النضج، وقد قسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام مثل أوستين:

الإخباريات: وغرضها الإنجازي نقل المتكلم حدثا ما، ويحتمل هذا القسم الصدق والكذب، ويحتوي هذا الصنف على معظم أفعال الإيضاح، وبعض أفعال الأحكام عند أوستين.

التوجيهات: ويفهم معناها من كلمة توجيه، أي توجيه المتلقي إلى سلوك ما، ويدخل فيها الاستفهام، والأمر، والنصح، والتحدي.

الالتزاميات: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل.

التعبيرات: وهدفها الإنجازي هو التعبير عن الشعور الداخلي، ويدخل فيها أفعال الشكر، والتهنئة، والترحيب، والمواساة، وغيرها.

الإعلانيات: وهي التي يكون إنجاز الفعل فيها موازيا لإعلان اللفظة[49].

وجملة القول يمكن التمييز في عمل أوستين بين مرحلتين؛ ميز في الأولى منهما بين نوعين من الأقوال؛ الأقوال التقريرية الإخبارية التي وظيفتها وصف الواقع، والأقوال الإنشائية، أو الأدائية التي وظيفتها إنجاز الأعمال، أو الأفعال، وكأنه حاول في هذه المرحلة إدخال الشك والتناقض في الاعتقاد السائد في الوسط الفلسفي الإنجلوسكسوني؛ القائل بأن الإثبات خصوصا واللغة عموما لها وظيفة وصف حالة الأشياء، وأنها لا تكون إلا صادقة أو كاذبة؛ لأنه ألفى عددا من الأقوال حتى الإثباتية منها لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ فاعتبرها **"إثباتات زائفة"**؛ ومن هنا بدأ التشكيك في أساسية الوظيفة الوصفية للغة، وسمى ذلك **"بالوهم الوصفي"**،

وشرع في عـزل هـذه الأقـوال، وسـماها الأقـوال الإنشـائية، ويمكـن الحكـم عليهـا بـدل الصـدق والكـذب بالتوفيـق والإخفـاق؛ لأن الأمـر هنـا متعلـق بوظيفـة الإنجـاز والأداء، وليـس الوصـف والإخبـار.

فـإذا قـال قائـل: **"أعدكـم بالمجـيء"**، وليـس في نيتـه المجـيء، لا يمكننـا القـول بأنـه كاذب، أو إنـه لم يعِـدْ، بـل نقـول إن القـول غـير موفـق، وأن العمـل مخفـق، والوعـد كاذب، ولكـن لا نعنـي بـكاذب هنـا عـدم مطابقـة القـول للواقـع؛ لأن ذلـك متعـذر في مثـل هـذه الأقـوال[50]. وكذلـك الحـال في المثـال المذكـور آنفـا، فـإن الأب الـذي أمـر ولـده بتنظيـف أسـنانه لم يوفـق في أمـره إيـاه؛ لأن ولـده لم يشـعر بالنعـاس ومـن ثـم فـلا حاجـة للتنظيـف الآن، ولـو امتثـل أمـر أبيـه لتكلـل الأمـر بالنجـاح أي بالتوفيـق[51].

وفي المرحلـة الثانيـة تراجـع عـن تلـك المقابلـة بـين وظيفتـي الوصـف والإنجـاز؛ ليؤكـد في نهايـة المطـاف بـأن اللغـة إنجازيـة جميعهـا، فحتـى الأقـوال الإثباتيـة التقريريـة لا يمكـن عزلهـا عـن البعـد الإنجـازي، فالمتكلـم وهـو في حالـة الإثبـات ينجـز عمـلا متضمنـا في القـول[52].

إن نظريـة الأعـمال اللغويـة قـد رسـخت فكـرة تحليـل اللغـة والدلالـة في التنـاول، الـذي يهتـم بقـول المتكلـم، والمعنـى المحصـل منـه، بخـلاف اللسـانيات البنيويـة التـي تعنـى بالجملـة ومعناهـا المقـدر، فهـي لا تأخـذ بعـين الاعتبـار سـوى القواعـد الداخليـة للغـة، مبتوتـة عـن مؤوِّليهـا؛ وبذلـك تجـاوزت الحـدود التـي رسـمها "دي سوسـير" لتشـمل دراسـة اللغـة والـكلام معـا، كـما أن نظريـة "أوسـتين" قطعـت العلاقـة مـع تلـك النظـرة الكلاسـيكية للغـة التـي تـرى بـأن الوظيفـة الأسـاس للغـة هـي وصـف الواقـع[53].

وهكـذا أخـذت الوظيفـة الإنجازيـة مكانهـا ضمـن التصنيفـات المختلفـة لوظائـف اللغـة؛ لتصبـح وظيفـة الملفوظـات الإنشـائية في نظـر أوسـتين ومـن سـار عـلى نهجـه، ليسـت وصـف الواقـع، وتقديـم صـورة فاسـدة أو صادقـة عـن مكوناتـه، وإنمـا هـي بنـاء ذلـك الواقـع وإنشـاؤه بموجـب عمليـات التلفـظ نفسـها، وهكـذا تتحـول اللغـة مـن وظيفـة جعـل القـول مطابقـا للواقـع إلى وظيفـة معاكسـة، وهـي جعـل الواقـع مطابـق

للقـول[54].

إن ظاهـرة الأفعـال الكلاميـة هـي في الحقيقـة نتـاج الفلسـفة التحليليـة التـي قاربـت اللغـة بغـير المنظـار السوسـيري، حـين اقتنـع روادهـا بـأن فهـم الإنسـان لنفسـه وللعـالم الـذي يعيـش فيـه، لا يقـوم إلا عـلى اللغـة بعدّهـا الوسـيلة المثـلى لذلـك، وقـد رأينـا كيـف انقسـمت بدورهـا إلى ثلاثـة فـروع، حظـي الفـرع الأخـير منهـا (فلسـفة اللغـة العاديـة بزعامـة فيتغنشـتاين) باحتضـان ظاهـرة الأفعـال الكلاميـة، بعدمـا حفـت الفرعـين الآخريـن مزالـق منهجيـة في فهـم اللغـات البشريـة، حيـث التركيـز عـلى المنطـق واللغـات الصوريـة المصطنعـة[55]. والـشيء الأكيـد أن النظريـات الصوريـة التـي كانـت قـد حظيـت بتأييـد واسـع في النصـف الأول مـن القـرن العشريـن مـن خـلال تطبيـق الأدوات المنطقيـة التـي ابتكرهـا فريجـه ورسـل عـلى اللغـة، سرعـان مـا تعرضـت لهجـوم عنيـف مـن فيتغنشـتاين المتأخـر وأوسـتين ومـن جاراهـما مطلـع النصـف الثـاني مـن القـرن العشريـن؛ وكان ثمـرة ذلـك أن تحـول مركـز الاهتـمام مـن اللغـة الصوريـة المنطقيـة إلى اللغـة الطبيعيـة[56]."

لقـد "بـين هـذا التحـول حـدود البنيوية(وليـس خطأهـا)، وحاجتهـا إلى تجديـد البحـث"[57]، وتجديـد الوظائـف أيضـا، في ظـروف أتـت فيهـا الحربـان العالميتـان عـلى تدمـير بنـى العـالم في شـتى المجـالات، فـكان الأنسـب للعـالم مجتمعـا أن يفكـر في إعـادة بنـاء هـذه البنـى لا وصفهـا، وقـد تكـون لهـذه الظـروف التداوليـة الدوليـة المتنافـرة أثـر في البحـث عـن وظيفـة جديـدة للغـة تنجـز الواقـع لا تصـف خرابـه وتبـكي عـلى طلـله، مسـتعينة بعلـوم شـتى،كالأنثروبولوجيا، وعلـم النفـس، وعلـم الاجتـماع، والفلسـفة، والمنطـق، وغيرهـا، معرِّضـة بالانغـلاق البنيـوي المشـبع بالأنانيـة (دراسـة اللغـة في ذاتهـا ولأجـل ذاتهـا)، والـذي ربمـا كان انعكاسـا لأنانيـة الإنسـان التـي أفضـت إلى خـراب جـزء واسـع مـن هـذا العـالم.

الوظيفة الحجاجية للغة عند ديكرو:

عندمـا نتحـدث عـن الوظيفـة الحجاجيـة للغـة؛ فـإن ذلـك يعنـي بالـضرورة الوقـوف

على نظرية الحجاج اللغوي للألسني الفرنسي أوزوالد ديكرو (O. Ducrot)، وأدعو القارئ هنا للتركيز معي على الصفة "اللغوي" فهي هنا قيد مانع من الاختلاط ببقية المقاربات الحجاجية، التي ليست لغوية، كالحجاج البلاغي، والحجاج المنطقي، وما يعنينا في هذا المقام المقاربة اللغوية (اللسانية)؛ التي تناولت الحجاج من وجهة نظر قولية تداولية، إذ بحثت عن الوظيفة الحجاجية للعبارة اللسانية[58].

انبثقت نظرية ا الحجاج في للغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية لكل من أوستين، وسيرل، وهي نظرية تقدم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وهي تندرج ضمن تيار حديث في اللسانيات، ظهرت على يد الألسني الفرنسي "أوزوالد ديكرو" (O. Ducrot)، - بعد إضافته فعلين لغويين هما: **الاقتضاء، والحجاج**-، في كتابه "الحجاج في اللغة" L'argumentation Dans La (langue) عام 1983م، الذي ألفه بمشاركة زميله جون كلود أنسكومبر (Jean Cloud Ans-combre)، مفادها أن اللغة تحمل في جوهرها بعدا حجاجيا، ومن ثَمَّ فهي لا ترى بأن الوظيفة الإبلاغية الإخبارية هي الوظيفة الأساس والوحيدة للغة، بل إن الوظيفة الحجاجية هي أهم وظائفها[59]. ومن الأخير (فعل الحجاج) انبثقت نظرية الحجاج في اللغة؛ وبناء عليه" فما الفعل الحجاجي إلا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي"[60].

وقد رأينا آنفا كيف أثبت أوستن نوعا آخر من الجمل، وهي الإنشائية (الأدائية) إلى جانب الوصفية؛ ليتراجع لاحقا مؤكدا أنه إذا أمْعَنَّا النظر ألفينا كل عبارة تامة تتضمن على الأقل فعلا لغويا واحدا من بين ثلاثة أضرب من الأعمال اللغوية، أولها: **العمل القولي**، ويتحقق بمجرد التلفظ بشيء ما، وثانيها: **العمل المتضمن في القول**، ويتحقق بقولنا شيئا ما، وثالثها: **هو عمل التأثير بالقول**، ويتحقق نتيجة قولنا شيئا ما؛ ومنه انتبه ديكرو إلى فعل الحجاج.

أسست هذه النظرية مفهوما جديدا للحجاج يختلف عن مفهوم بيرلمان وتيتيكا، يقوم أساسا على اللغة بخلاف مفهوم بيرلمان القائم على تقنيات وأساليب

في الخطـاب، تكـون شـبه منطقيـة، أو شـكلية، أو رياضيـة، "فهـي تفـترض أن اللغـة ليسـت لهـا بالأسـاس وظيفـة التمثيـل والوصـف؛ والنتيجـة النظريـة المتولـدة مـن ذلـك هـي أن القيمـة المرجعيـة للأقـوال ليسـت مـن الناحيـة الدلاليـة قيمـة مـن درجـة أولى، بـل قيمـة مـن درجـة ثانيـة. وفي مقابـل ذلـك نجـد أن القيـم الحجاجيـة التـي تعتبرهـا بصفـة عامـة آثـارا للخطـاب أو السـياق التـداولي، هـي قيـم مـن درجـة أولى مسـجلة في البنيـة اللغويـة ذاتهـا لـدى "أنسـكومبر" "ودكـرو"[61].

وبعبـارة أكـثر وضوحـا؛ اللغـة تحمـل وبصفـة ذاتيـة جوهريـة (Intrinsèque) وظيفـة حجاجيـة، مـؤشرا لهـا في البنيـة اللغويـة جمـلا وأقـوالا، فهـي موجـودة في الظواهـر الصوتيـة، والصرفيـة، والنحويـة، والدلاليـة، والتداوليـة[62]؛ فـأرسى بذلـك مبـدأ تداوليـا فحـواه: أن البعـد الحجاجـي سـابق عـن البعـد الإخبـاري في الـكلام، فـكل كلام حسـب هـذه النظريـة هـو حجاجـي بالقـوة، قبـل أن يقـوم بـدوره الإخبـاري الإعلامـي، فالسـمة الحجاجيـة منغرسـة في اللغـة أصالـة؛ فهـي نظريـة لسـانية تهتـم بالوسـائل اللغويـة وإمكاناتهـا الطبيعيـة الحجاجيـة، بعيـدا عـن المنطـق الأرسـطي وأحافـيره الشـكلية؛ وعليـه فخلاصـة علاقـة اللغـة بالحجـاج مـن هـذا المنظـور الحـداثي هـي: "أن لا تواصـل مـن غـير حجـاج، ولا حجـاج مـن غـير تواصـل"؛ وذلـك تجسـيد لتلـك الفكـرة الشـائعة التـي مفادهـا "أننـا نتكلـم عامـة بقصـد التأثـير"، كـما يـرى أبـو بكـر العـزاوي[63].

المعنى الحجاجي والمعنى الإخباري وحرب الرتب:

اجتهـد اللغويـون في بحـث الفـروق بـين هذيـن النمطـين مـن المعنـى، وخصّوهـما بجملـة مـن البحـوث والدراسـات؛ وقـد خلصـوا إلى أن هنـاك أنواعـا مختلفـة مـن المعنـى الظاهـر، نذكـر منهـا المعنـى الحـرفي، والمعنـى البنيـوي، والمعنـى المعجمـي، والمعنـى الإخبـاري الإعلامـي، وغيرهـا، وأنواعـا مـن المعنـى الضمنـي، نذكـر منهـا الاقتضـاء، والاسـتلزام الـدلالي، والتضمـين، والمعنـى الحجاجـي، وغيرهـا.

وقـد ذهـب العديـد مـن الفلاسـفة واللغويـين قديمـا وحديثـا إلى أن وظيفـة اللغـة الأساسـية هـي وصـف الكـون والإخبـار عنـه، قناعـة منهـم أن اللغـة ليسـت سـوى

مجرد نظام من الرموز توظف أساسا في نقل المعلومة الواصفة للعالم، مرجئين المعاني الأخرى إلى مراتب هامشية ثانوية، وفي المقابل كانت هناك محاولات منذ القديم تستميت في التقليل من أهمية هذا التوجه، ومحاولة إبراز محدودية الجمل والأقوال التي لها وظيفة وصفية تمثيلية للعالم، وفي هذا الإطار تندرج نظرية الحجاج، ضمن ما يمكن أن نسميه بالدلاليات غير الإعلامية أو غير الإخبارية (La semantique informationnelle)، التي تعد المعنى الإخباري ثانويا وهامشيا بالنسبة للمعاني الأخرى[64].

وهنا يجب أن ننوّه أن البلاغيين العرب القدماء بتقسيمهم اللفظ المفيد إلى خبر وإنشاء، كانوا يسبحون في فلك هذا التيار، بل كانوا روادا له، فقد" توصلوا إلى وضع معايير علمية متفاوتة الدقة، مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والإنشاء، وأن آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها، هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار **"القصد"** ومعيار **"إيجاد النسبة الخارجية"**؛ وقد تمخض عن هذين المعيارين خصوصا تعريف دقيق لكل من الخبر والإنشاء، وأن الأول من هذين معيار تداولي، والثاني منهما معيار منطقي"[65].

فنظرية الحجاج لديكرو ومن قبلها نظرية الأعمال اللغوية لأوستين وسيرل، ومن قبلهم البلاغيون العرب (في تفريقهم بين الخبر والإنشاء) تشكل تيارا تداوليا يعارض تيار الدلالة المنطقية القائم على تصور خطي تتابعي تراتبي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول "فدراسة اللغة سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ترتكز حسب هذا التصور على مراحل ثلاث: يعنى التركيب في أولها بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد "نحويتها"، وتعنى الدلالة بالعلاقة بين العلامات ومراجعها، والحكم على الجملة بالصدق أو الكذب،انطلاقا من ضبط مدى استيفائها لشروط الصدق، ويعنى التداول أخيرا باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدي مناسبتها للمقام، أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق هل تجيز ظروف التخاطب إنجازه؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول"[66].

إذن هناك صنفان من الخطاب اللغوي يهدف أحدهما إلى نقل المعلومة كما هي دون زيادة أو نقصان بدءا بالأحداث الحقيرة إلى الأحداث الجليلة، ويدخل فيه الأخبار اليومية والنظريات العلمية، حيث يلعب فيها المرسل دور الصحفي أو الراوي، ويشترط فيه الصدق والموضوعية، مكتفيا في ذلك بنقل المعلومة الخبر إلى المتلقي لتفهم وتعلم فقط. أما ثانيهما فيتجاوز به صاحبه الفهم إلى غاية أبعد ألا وهي إقناع المتلقي بمحتوى خطابه، ومن ثم صدقها الذي غالبا ما يترجم إلى سلوكات عملية بالفعل، أو الكف، والترك. إنهما (ديكرو وأنسكومبر)يرفضان المبدأ القائل: إن اللسان يستخدم للتواصل بالمعنى الضيق للعبارة، أي لنقل المعلومة أو الخبر. "إننا نريد أن نصل إلى القول إن الإخبارية في الواقع تعد من درجة ثانية بالمقارنة مع الحجاجية، فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إلا قِناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر"[67].

لقد بيّنا أن "اللغة حجاجية في ذاتها أي إنها لا تحمل فقط معلومات وتعبيرا، ولكنها تحتوي في نفسها، وبصرف النظر عن استعمالها في السياق على عناصر حجاجية بحتة"[68]. فالملفوظات إذن تتضمن قضية حجاجية ليست مضافة أو دخيلة، ولكنها كامنة في اللغة بوصفها عمادا لكل دلالة، وعليه فالحجاج لم يعد نشاطا لسانيا ثانويا من بين أنشطة أخرى، ولكنه أساس المعنى عينه، وأساس تأويل الخطاب[69]؛ ومع العوامل التداولية الخارجية تشتد الظاهرة وتتقوى. "فالحجج لا تنبني في فراغ ولا تصاغ في مجال معزول، أو سياق منفصل عن شروط تكوُّنه وسيرورته"[70]. فاللغة تحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، فهي عند أوزوالد ديكرو وسيلة للسجال بين الذوات البشرية، والحجاج جوهرها بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة[71].

التوجيه جوهر الوظيفة الحجاجية:

تجدر الإشارة هنا إلى أهم مفهوم في نظرية ديكرو وزميله الحجاجية وهو التوجيه (L'orientation)؛ إذ حصرا فيه غاية الحجاج ووظيفته، فحينما نقول لشخص

ما: إن هذا الفندق مريح، وتتوفر فيه جميع وسائل الراحة، فنحن لا نريد إخباره بذلك بقدر ما ندعوه إلى زيارته، فنحن جهدنا أنفسنا في توجيهه إلى استنتاج أن إقامته بهذا الفندق سيكون لها الأثر الإيجابي عليه، ومن ثم فهي دعوة للإقامة بهذا الفندق، فالإخبارية إذن ثانوية بالنسبة للوظيفة الحجاجية[72].

لاحظ ديكرو أن بين بعض الأقوال اللغوية المتوالية تشكل "تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى...متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها. إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[73].

إن منطق اللغة "يعني وجود طابع استدلالي في بنية اللغة الطبيعية، ووجود علاقات استنباطية بين مكوناتها دون اللجوء إلى اصطناع هذه المكونات، أو صورنتها"[74]، وهذا ما أكده ديكرو حين قال: "توجد بين بعض ملفوظات اللغة الطبيعية علاقات حتمية، حيث إننا عندما نقبل هذه الملفوظات؛ نكون مجبرين على تقبل بعضها الآخر"[75].

إذن هذه التوجيهات الحجاجية (Orientations argumentatives) هي التي تسمح باتباع ملفوظ معين لملفوظ آخر، وتمنع متابعته بملفوظات أخرى، أي إنها ترجع نتيجة معينة دون غيرها من النتائج، التي قد تكون مصرحا بها، أو متضمنة في القول، أو قل إنها التي تتحكم في بنية منطق اللغة بناء وسيرورة، ونتيجة؛ أي من خلالها تتحدد غايات الخطاب الحجاجي التي يسعى لفرضها على المخاطب، كنتيجة حتمية ووحيدة؛ ومن هذا المنطلق تتعاظم سلطة الخطاب الحجاجي بسده كل الطرق أمام أي حجاج مضاد؛ من شأنه أن يبطل ذلك التوجيه الحجاجي أو أن يضعفه[76].

وجملة القول إن نظريتهما تقوم على ثلاثة أسس وهي:

1- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

2- المكون الحجاجي في المعنى أساسي، والمكون الإخباري ثانوي.

3- عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات[77].

نماذج تطبيقية:

بينا آنفا أن فعلي الحجاج والتوجيه(وظيفتي الحجاج والتوجيه) يحدثان بفعل تتابع الأقوال وترابطها في سلسلة كلامية، يكون بعضها حججا، وبعضها الآخر نتائج،وهذه النتائج بعضها ظاهر وبعضها مستتر، وعلى المخَاطب استنتاجها لا من مضامين هذه الأقوال الإخبارية، بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب[78]، وقد ضرب الباحثان جملة من الأمثلة منها قولنا:

- **"لنخرج إلى النزهة بما أن الطقس جميل".**
- **أو "الطقس جميل فلنخرج للنزهة".**
- **يكون ق1 هو الطقس جميل، وهو الحجة.**
- **ويكون ق2 فلنخرج للنزهة، وهو النتيجة.**

وقد تكون النتيجة، ضمنية لكنهما يشترطان سهولة الوصول إليها، ومثال ذلك الحوار التالي:

- هل ترغب في مرافقتي لنشاهد هذا الشريط السينمائي؟

- لقد شاهدته.

فقولنا: لقد شاهدته حجة موصلة إلى نتيجة مفاده أنه لا يريد المرافقة لمشاهدة الشريط[79].

ويمكن أن نأخذ أمثلة أخرى مثل:

- **السماء صافية.**
- **البرد قارس.**
- **الجو جميل.**

فعندما يتلفظ متكلم بالجملة الأولى مثلا (السماء صافية)، فهل يريد أن يخبر

السامع بشيء يجهله، لاشك أن السامع يرى مثل المتكلم أن السماء صافية -إلا إذا كان أعمى- وفي مثل هذه الحال يفقد القول طبيعته الإخبارية، وبعبارة أدق وظيفته الإخبارية، وإن ظل محتفظا بمحتواه القضوي الإخباري، لكنه يتزحلق إلى درجة ثانوية هامشية، مُفسِحا المجال للمكون الدلالي الحجاجي، وهو الذي يوجهنا لاستنتاج المتواليات التالية:

- **السماء صافية لنخرج إلى النزهة.**
- **السماء صافية لنتجول قليلا.**
- **لنذهب إلى الشاطئ، وهكذا.**

وهكذا تكشفت النتيجة المتوارية خلف المكون الدلالي الحجاجي؛ وما كان لها أن تظهر لولاه، فهو الذي يتحكم في قوانين اشتغال الأقوال داخل الخطاب، وما قيل عن هذا المثال يقال عن المثالين الآخرين[80].

لنرتق إلى مثال قرآني، ولتكن آيات مطلع سورة الأعلى، وهي قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾[81]. حيث تبدأ السورة بالآية ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ كنتيجة يريد الله عز وجل أن يقنع بها المخَاطبين(عباده) ويدفهم للعمل بها، ويقتضي هذا الاستدلال حتى يكون مقنعا وللعمل دافعا، إيراد الحجج القولية المفضية إليها؛ فكانت الآيات الأربع الموالية:

- ﴿الذي خلق فسوى﴾.
- ﴿والذي قدر فهدى﴾.
- ﴿والذي أخرج المرعى﴾.
- ﴿فجعله غثاء أحوى﴾.

فهذه الحجج وحجج أخرى مبثوثة في السورة، يمكن استنباطها عند التدقيق؛ كلها تخدم نتيجة واحدة، وهي تسبيحه سبحانه وتعالى، وليس التسبيح سوى تنزيهه عن الشريك، وإفراده بالعبادة، فمن خلال المقطع الأول من السورة نكتشف تلك

الشبكة الحجاجية القائمة بين النتيجة وثلاث حجج تلتها، كلها تسير في اتجاه واحد يخدم النتيجة ويقويها، ويمكن صياغة علاقات هذه الشبكة بأساليب أخرى، تتبرج من خلالها الروابط الحجاجية، وبصور مختلفة على النحو التالي:

1- سبح اسم ربك الأعلى **لأنه** هو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى...

2- بما **أن** ربك هو الذي خلق فسوّى، وقدر فهدي...**إذن** فسبحه.

3- **إن ربك** خلق فسوى،وقدر فهدى، فسبحه[82].

وقائمة الاحتمالات تطول ولكن يكفي منها ما أشرنا إليه في هذه العجالة.

وصفوة القول إن نظريات الاستعمال -ومنها نظريتا الأفعال اللغوية والحجاج اللغوي- كان لها الفضل في تطوير البحث اللساني، ومده - قهرا- بآليات منهجية، كان ينظر إليها البحث للساني البنيوي نظرة ريبة ودونية، ودليل ذلك أن التداولية قد تطهرت من عبارة **"سلة مهملات للسانيات"** التي كانت توصف بها في سبعينيات القرن العشرين، عبارة تدل على أن التداولية غير مؤهلة لبحث ودراسة أي مسألة لسانية، وإنما يسمح لها تفضلا بمعالجة بعض المسائل التي عافتها اللسانيات، لتتحول إلى شريك عديل للسانيات -إن لم يكن بديلا-، ومنهج فعال في الإصلاح وتدارك إخفاقات اللسانيات التي كانت مسكوتا عنها؛ وكانت شرارة هذا التحول تحول فلسفي من التأليف إلى التحليل، ومن اللغة الصورية إلى اللغة العادية، ومن المعنى المقدر إلى المعنى المحصل،لتتحول وظيفة اللغة من وصف العالم، إلى الفعل ومنه فعل الحجاج، وذانك معنيان لا يمكن تحصيلهما إلا في ضرب خاص من السياقات الاجتماعية المحوطة بأعراف معلومة؛ وذلك ما نسميه المعنى الاستعمالي.

الإحـــالات

1- ينظـر: خولـة طالـب الإبراهيمـي: مبـادئ في اللسـانيات، ط2، دار القصبـة للنـشر، الجزائـر، 2006م، ص 10.

2- ينظـر: أحمـد المتـوكل: اللسـانيات الوظيفيـة مدخـل نظـري، ط2، دار الكتـب الجديـدة المتحـدة، بـيروت، لبنـان، 2010م، ص12-13.

3- ينظـر: جرهـارد هلبـش: تاريـخ علـم اللغـة الحديـث، ترجمـة: سـعيد حسـن بحـيري، ط1، مكتبـة زهـراء الـشرق، القاهـرة، مـصر، 2003م، ص136.

4- مصطفـى غلفـان: في اللسـانيات العامـة تاريخهـا، طبيعتهـا، موضوعهـا، مفاهيمهـا، ط1، دار الكتاب الجديـدة المتحدة، بـيروت ، لنـان، 2010م، ص34.

5- عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري: إسـتراتيجيات الخطـاب، مقاربـة لغويـة تداوليـة، ط1، دار الكتاب الجديـدة المتحدة، بـيروت، لبنـان، 2004م، ص 21.

6- صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، د-ت، ص189.

7- محمـد محمـد يونـس علي:مقدمـة في علمـي الدلالـة والتخاطـب، ط1، دار الكتـب الجديـدة المتحـدة، بـيروت، لبنـان، 2004م، ص 15.

8- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص9.

9- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص15-16.

10- الخضـم لأكل الرطـب، والقضـم لأكل الصلـب اليابـس. النضـح السـيلان الضعيـف، والنضـخ السـيلان القـوي.

11- ينظـر: فريـد عـوض حيـدر: علـم الدلالـة دراسـة نظريـة وتطبيقيـة،ط1، مكتبـة الآداب القاهـرة،2005م، ص30 - 34.

12- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، د-ط، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ص36.

13- ينظـر: عـلي حسـن مزبـان: الوجيـز في علـم الدلالـة، ط1، دار شـموع الثقافـة، الزاويـة، ليبيـا، 2004م، ص40.

14- ينظر: عبد الغفار حامد هلال: الدلالة اللغوية، ط1، د-ت، ص27.

15- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص 37.

16- أليسـكندر كـير كـوود هاليـدي: وظائـف اللغـة، ترجمـة: محمـود أحمـد نحلـة، مقـال في مجلـة اللسـان العـربي، ص13.

17- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة، 1952م، ص34.

18- ابـن سـنان الخفاجـي: سر الفصاحـة، تحقيـق: عـلي فـودة، ط2، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة، 1994م، ص 209.

19- ينظـر: عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري: إسـتراتيجيات الخطـاب مقاربـة لغويـة تداوليـة، ص 11 - 12.

20- Dubois jean et autres: dictionnaire de linguistique la rousse, paris, france 1998, p216.

21- Mounin jeorges: dictionnaire de la linguistique quadrige, puf, edition, 1974, p 143 – 144.

22- Ducrot oswald et todorov tzvetan: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, édition du seuil, paris, 1972, p 42.

23- ينظـر: مصطفـى غلفـان: اللسـانيات العربيـة الحديثـة، دراسـة نقديـة في المصـادر والأسـس النظريـة والمنهجيـة، ص 252.

24- ينظـر: عبـد الهـادي بـن ظافـر الشـهري: إسـتراتيجيات الخطـاب، مقاربـة لغويـة تداوليـة، ص12 - 13.

25- ينظر: هاليدي: وظائف اللغة، ترجمة: محمود أحمد نحلة، ص3-4.

26- محمـد سـبيلا وعبـد السـلام بـن عبـد العـالي: اللغـة، ط2، دار توبقـال للنـشر، الـدار البيضـاء، المغـرب، 1998م، ص52-55.

27- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص14.

28- ينظـر: سـامي الشريـف، وأيمـن منصـور نـدا: اللغـة الإعلاميـة المفاهيـم –الأسـس- التطبيقـات، 2004م، ص 21-22. وينظـر: رشـدي طعيمـة، ومحمـود كامـل الناقـة: مفهـوم اللغـة ووظائفهـا، ص6-8.

29- إدريـس قصـوري: أسـلوبية الروايـة، مقاربـة أسـلوبية لروايـة زقـاق المـدق لنجيـب محفـوظ، ط2، عـالم الكتـاب الحديـث، إربـد، الأردن، 2008م، ص 41.

30- ينظر: المرجع نفسه، ص 41.

31- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 20.

32- صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، ص190.

33- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005م، ص 18.

34- ينظر: Philipe Blanchet: La Pragmatique d'Austin A Goffman Collection reference ., Edition, Bertrand-La Coste, Paris France, 1995, pp14 -15

35- ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، د-ط، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م، ص 20.

36- ينظر: فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م، ص 37.

37- فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 23.

38- ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 22.

39- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 1992م ، ص 18-19.

40- ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

41- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 22.

42- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 22.

43- هذا هو عنوانه الأصلي بالإنجليزية وترجم إلى الفرنسية بـ quand dire c'est faire. أما في العربية فمنهم من سماه "نظرية أفعال الكلام"، ومنهم ترجمه "كيف ننجز أفعالا بالكلمات"، وبعضهم "عندما نقول نفعل".

44- ينظر: quand dire c' est faire (how to do things with words . j-l Austin) tra , gilles .lan , seuil , 1970 , p – 40

45- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص60 - 70.

46- ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سعد الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، دار الطليعة بيروت، لبنان، د - ت، ص 30 - 31.

47- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 23.

48- ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 31 - 31.

49- ينظر: j. s .searl, les actes de langage (essai de philosophie du langage) collection

.savoir, les lettres Herman ,paris, nouveau tirage, 1996, p 60-62

50- ينظر: جاك موشلار- آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوب وآخرون، مراجعة: خالد ميلاد، ط2، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ج1، ص56-57.

51- ينظر: آن روبول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 31.

52- ينظر: عيد بلبع: التداولية ح البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغي، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، المنوفية، مصر، 2009م، ص 234.

53- ينظر: فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007م، ص55.

54- ينظر: إدريس سرحان: الأمر كفعل إنجازي غير مباشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (دراسات لسانية)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، المغرب، عدد خاص 11، 1995م، ص 77.

55- ينظر: ذهبية الحاج حمو: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحور والتطور، مقال ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، ط1، دار كنوز المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،عمان، الأردن،2014م، ص166.

56- ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، مصر، 2005م، ص27.

57- ذهبية الحاج حمو: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحور والتطور، ص170.

58- ينظر: محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص94.

59- أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م، ص15.

60- آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية: رتيبة محمدة بولدواني، مجلة مقاربات، دورية محكمة تهتم بالبحث العلمي، العدد الثاني عشر، فاس، المغرب، المجلد السادس 2013م، ص27.

61- جاك موشلر وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، الجزء 1، ص321.

62- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحوار، ط1، الأحمدية للنشر،2007م، ص09.

63- ينظر: أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ص14.

64- ينظر: أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجاله ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص70-71.

65- مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص86.

66- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس، ص353.

67- صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ط1، الدار المتوسطية للنشر تونس، 2007م، ص197.

68- كورنيليافون راد صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف: فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادى صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، 15 أفريل، 2001م، ص32.

69- ينظر: صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ص197.

70- عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، عام 2009م. ص99.

71- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، كلية منوبة، عام 2001م، ج1، ص38.

72- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م، ص123.

73- أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ص57.

74- عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص104.

75- المرجع نفسه، ص104-105.

76- ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، إربد، الأردن،

الطبعـة الأولى، عـام 2008م. ج1، ص24.

77- الحجـاج في درس الفلسـفة: مليكـة غبـار وآخـرون، أفريقيـا الـشرق، الـدار البيضـاء، المغـرب، د-ط، 2006م، ص53.

78- ينظر:سـامية الدريـدي: الحجـاج في الشـعر العـربي القديـم مـن الجاهليـة إلى القـرن الثـاني وبنيتـه الأسـلوبية، ج1، ص23.

79- ينظر:عبـد اللـه صولـة: الحجـاج في القـرآن الكريـم مـن خـلال أهـم خصائصـه الأسـلوبية، ج1، ص36-37.

80- أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ص74.

81- سورة الأعلى، الآيات 1-5.

82- ينظـر: أبـو بكـر العـزاوي: الخطـاب والحجـاج، ط1، الأحمديـة للنـشر، الـدار البيضـاء،2007م، ص18-19.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.
- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.
- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ط2، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م.
- جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، مصر، 2003م.
- مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ،2010م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.
- صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، د-ت.
- محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.
- فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية،ط1، مكتبة الآداب القاهرة، 2005م.
- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، د-ط، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.
- علي حسن مزبان: الوجيز في علم الدلالة، ط1، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، 2004م.
- عبد الغفار حامد هلال: الدلالة اللغوية، ط1، د-ت.
- أليسكندر كير كوود هاليدي: وظائف اللغة، ترجمة: محمود أحمد نحلة، مقال في مجلة اللسان العربي.
- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة،

1952م.

- ابـن سـنان الخفاجـي: سر الفصاحـة، تحقيـق: عـلي فـودة، ط2، مكتبـة الخانجـي، القاهــرة، 1994م.
- هاليدي: وظائف اللغة، ترجمة: أحمد محمود نحلة.
- محمـد سـبيلا وعبـد السـلام بـن عبـد العـالي: اللغـة، ط2، دار توبقـال للنـشر، الـدار البيضـاء، المغـرب، 1998م.
- سـامي الشريـف وأيمـن منصـور نـدا: اللغـة الإعلاميـة المفاهيـم –الأسـس- التطبيقـات، 2004م.
- رشدي طعيمة، ومحمود كامل الناقة: مفهوم اللغة ووظائفها.
- إدريـس قصـوري: أسـلوبية الروايـة، مقاربـة أسـلوبية لروايـة زقـاق المـدق لنجيـب محفـوظ، ط2، عـالم الكتـاب الحديـث ، إربـد، الأردن، 2008م.
- مسـعود صحـراوي: التداوليـة عنـد العـرب، دراسـة تداوليـة لظاهـرة (الأفعـال الكلامية) في الـتراث اللسـاني العـربي، ط1، دار الطليعـة، بيروت، لبنـان، 2005م.
- فرانسـواز أرمينكـو: المقاربـة التداوليـة، ترجمـة: سـعيد علـوش، د-ط، مركـز الإنمـاء القومـي، الربـاط، المغـرب، 1986م.
- فـان دايـك: النـص والسـياق، اسـتقصاء البحـث في الخطـاب الـدلالي والتـداولي ترجمـة عبـد القـادر قنينـي، إفريقيـا الـشرق، بـيروت، لبنـان، 2000م
- الجيـلالي دلاش: مدخـل إلى اللسـانيات التداوليـة، ترجمـة محمـد يحياتـن، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة، السـاحة المركزيـة بـن عكنـون الجزائـر، 1992م.
- محمـود أحمـد نحلـة: آفـاق جديـدة في البحـث اللغـوي المعـاصر، دار المعرفـة الجامعيــة، 2002م.
- آن روبـول وجـاك موشـلار: التداوليـة اليـوم علـم جديـد في التواصـل، ترجمـة سـعد الديـن دغفـوس، ومحمـد الشـيباني، دار الطليعـة بـيروت، لبنـان، د - ت.
- جـاك موشـلار- آن ريبـول: القامـوس الموسـوعي للتداوليـة، ترجمـة: عـز الديـن

المجدوب وآخرون، مراجعة: خالد ميلاد، ط2، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ج1.

- عيد بلبع: التداولية ح البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغي، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، المنوفية، مصر، 2009م.
- فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007م.
- إدريس سرحان: الأمر كفعل إنجازي غير مباشر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (دراسات لسانية)، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، المغرب، عدد خاص 11، 1995م.
- ذهبية الحاج حمو: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحور والتطور، مقال ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ومنتصر أمين عبد الرحيم، ط1، دار كنوز المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2014م.
- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس: صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، مصر، 2005م.
- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
- أبو بكر العزّاوي: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م.
- آليات الحجاج والتواصل في ضوء النظرية التداولية: رتيبة محمدة بولدواني، مجلة مقاربات، دورية محكمة تهتم بالبحث العلمي، العدد الثاني عشر، فاس، المغرب، المجلد السادس 2013م.
- أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، مقال ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجاله ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، ط1، مطبعة النجاح الحديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

- مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م.
- شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس.
- صابر الحباشة: تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ط1، الدار المتوسطية للنشر تونس، 2007م.
- كورنيليافون راد صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف: فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادى صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، 15 أفريل، 2001م.
- عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، عام 2009م.
- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، كلية منوبة، عام 2001م، ج1.
- عمر بلخير:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م.
- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، عام 2008م. ج1.
- الحجاج في درس الفلسفة: مليكة غبار وآخرون، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د-ط، 2006م.
- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني

وبنيتـه الأسـلوبية، ج1.

- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ط1، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء،2007م.
- Dubois jean et autres: dictionnaire de linguistique la Rousse, paris, france 1998.
- Mounin jeorges: dictionnaire de linguistique quadrige, puf, edition, 1974.
- Ducrot oswalde todorov tzvetan: dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, edition du seuil, paris, 1972.
- Philipe Blanchet: la pragmatique d'Austin a Goffman collection reference, edition, Bertrand-la coste, Paris France, 1995.
- Quand dire c'est faire (how to do things with words. J-l austin) tra, gilles lan, seuil, 1970.
- J. S. Searl, les actes de langage (essai de philosophie du langage) collection savoire, les lettres Herman, Paris, nouveau tirage.